النمسوية المختلفة . وكانت الديموقراطية الاشتراكية مع ذلك تشك فى قيمة هذا الاتحاد وتخشى منه على مستقبلها وحقوقها اذا ما انتهى بالقضاء على استقلال النمسا . بيد أنها لم تعارضه بطريقة ايجابية ، وكانت تؤيد جانبه الاقتصادى على الاقل ، خصوصا وقد كانت الديموقراطية الاشتراكية الالمانية يومئذ صاحبة النفوذ والسلطان فى المانيا . واتخذت أول خطوة عملية لتحقيق مشروع هذا الاتحاد فى سنة ١٩٣١ حيث عقدت النمسا مع ألمانيا اتحادا اقتصاديا جمركيا ، وكان المفهوم أنه أول مرحلة فقط ، ولكن دول الحلفاء ، ودول الاتفاق الصغير ، احتجت كلها على هذا الاتحاد بمنتهى الشدة . وانتهى الأمر بسحبه والغائه ، وأدركت النمسا مرة أخرى انه لن يسمح لها بالاندماج فى الجامعة الجرمانية الكبرى .

وكانت فكرة الاتحاد النمسوى الالمانى ما تزال قوية فى النمسا حينما تولى الوطنيون الاشتراكيون الحكم فى ألمانيا فى يناير سنة ١٩٣٣ وأخذوا يعملون لتحقيق برنامجهم ، والمعروف أن العمل على تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية فى مقدمة المبادىء التى يحتويها برنامج الهرهتلر ، وليس من ريب فى أن ضم النمسا لألمانيا هو أهم عناصر هذا المشروع ، وكان المفهوم أن ظفر الوطنية الاشتراكية بالحكم فى ألمانيا يقرب أمد هذه الغاية ، ولكن سرعان ما ظهرت الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ثوبها الحقيقى ، مسرفة فى العنف والطغيان وسرعان ما أخذت الحكومة الهتلرية تتدخل فى شئون النمسا وتعاملها بخشونة وغلظة كأنها ولاية تابعة لألمانيا . وهنا أدرك الشعب النمسوى حقيقة لم يقدرها فى البداية حق قدرها ، وهو أن أنصار الجامعة الجرمانية لا يفهمون من الاتحاد الا أنه قضاء على كيان النمسا كأمة مستقلة أو بعبارة أخرى ضم النمسا لألمانيا كولاية ألمانية . وشهد الشعب النمسوى فى دهشة وسخط كيف تجنى ألمانيا الوطنية الاشتراكية على النمسا ، وكيف يحاول الدعاة الهتلريون أن يضرموا فى النمسا نار الحرب الأهلية لكى تقضى على وجودها ، وشهدت الديموقراطية النمسوية من جهة اخرى كيف قضى الهتلريون على الديموقراطية الألمانية فى غمر من العنف المثير : عندما انهارت فى الحال فكرة « الاتحاد » (الأنشلوس) ، وظهرت للشعب النمسوى فى روعة خطرها وخطئها ، ونهضت حكومة الدكتور دولفوس ومن ورائها سواد الشعب ترد عدوان ألمانيا الهتلرية ، وتعمل لحماية الاستقلال النمسوى بكل ما وسعت من جهود . ؟

للبحث بقية

محمد عبد الله عنان

حجر رشيد والقلم الهيرغليفى

للاستاذ عبد الفتاح الزيادى

مدرس التاريخ والجغرافيا والاقتصاد بدار العلوم العليا

تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقين

(شوقى)

ان هذا الحجر وثيقة تاريخية خطيرة أدت الى فك رموز الكتابة الهيرغليفية (المقدسة) ففتحت ما اغلق من تلك المدنية المصرية القديمة التى ترعرعت على ضفاف النيل ودنت قطوفها حتى عمت جهات البحر الابيض الشرقية .

قد هذا الحجر من صخر البازلت ، وهو نوع من الحجارة البلوتونية السوداء المعروفة بصلابتها ، وهو يرى الآن قائما فى الطرف الجنوبى من غرفة الآثار المصرية بالمتحف البريطانى . أطلق عليه المؤرخون هذا الاسم بعد العثور عليه فى مكان قريب من مصب النيل الغربى بالقرب من موضع رشيد . وقد قرر بعض المؤرخين انه كان ملقى على الأرض وقت ان عثر عليه ، وقرر آخرون انه وجد مبنيا داخل جدار قديم كان نابليون قد أمر ثلة من جنوده بهدمه ليعزز ذلك الحصن الذى عرف بعد ذلك باسم حصن « القديس جوليان » .

أما الذى عثر عليه فهو الضابط « بوسار » من فرقة المهندسين الذين رافقوا نابليون فى حملته على مصر فى أغسطس سنة ١٧٩٩ ورقى عقب ذلك الى رتبة جنرال « قائد » .

لما لاحظ « بوسار » ما على وجه الحجر الاملس من الخطوط والنقوش الغريبة أيقن انها لابد ان تكون خطوطا من قلم خاص ، وسرعان ما كاشف رئيسه الجنرال « منو » بما لاحظه ، فأمره هذا بنقل الحجر الى منزله بالاسكندرية ، ففذ بوسار الامر وظل الحجر زمنا فى بيت « منو » لا يعلم أحد من أمره شيئا حتى ادعى « منو » ملكيته واعتبره جزءا من متاعه الخاص

ولما علم نابليون بما كان من أمر هذا الحجر أصدر أمره للجنرال « منو » بنقله الى القاهرة فصدع منو بالأمر ، ونقل الحجر الى « المعهد الوطنى » الذى أسسه نابليون فى المدينة ، وما ذاع خبر نقله

حتى تهافت عليه جمهور العلماء المرافقين لنابليون فآثار دهشتهم ، وأصبح منذ ذلك الحين موضع اهتمامهم واهتمام العالم العظيم الذي رأى ضرورة فك طلاسم ماعليه من النقوش . أمر نابليون بأن تطبع من تلك الرسوم نسخ توزع على طوائف العلماء في أوربا ، واستقدم لهذا الغرض اثنين من مهرة الطباعين في فرنسا ، وهما مارسل وجالان . اما الطريقة التي اتبعاها في نقل النقوش فهي تتلخص في أنهما نشرا على وجه الحجر مدادا خاصا. ووضعا ادراج الورق فوق الحجر ضاغطين عليه بمضغط من مطاط حتى انطبعت الرسوم واضحة ، ثم وزعت النسخ المطبوعة على علماء العاديات الشرقية في أوربا تنفيذا لأمر نابليون ، وقد اختص « المعهد الوطني بباريس » بنسختين وضعتا موضع بحث وتنقيب قام به العلامة « دوتيل » Dutheil

وصول الحجر الى انجلترا

بعد أن أحرز السير رالف ابركرمبي الانجليزي النصر في مصر بهزيمته الجنود الفرنسية سنة ١٨٠١ أبرمت معاهدة بين الانجليز والفرنسيين تنص المادة السادسة عشرة منها على ان يسلم الفرنسيون حجر رشيد مع آثار مصرية أخرى عظيمة الخطر كانت في حوزتهم الى الجنرال هاتشنسون في أواخر اغسطس من هذه السنة عينها ، وتنفيذا لهذه المعاهدة شرع هاتشنسون يتسلم الآثار المصرية بدون كبير معارضة ويرسلها الى انجلترا . ولما حان تسليم حجر رشيد اليه لاقى صعوبات جمة ، اذ أن الفرنسيين كانوا قد أسرعوا عقب هزيمتهم الى نقل هذا الحجر الى الاسكندرية وأخفوه في منزل الجنرال منو مدة من الزمن بعيدا عن أعين الرقباء ، فلم يقف هاتشنسون له على أثر ، الا أنه في سبتمبر سنة ١٨٠١ عادت انجلترا الى طلبه على يد الماجور جنرال تيرنر تنفيذاً لشروط المعاهدة المذكورة ، ملحة في ضرورة تسليمه ، فلم يرالفرنسيون بدا من التنازل عنه والأسف يملأ قلوبهم . وأبحر به تيرنر على الباخرة (الاجبسين) ووصل بورتسموث في فبراير سنة ١٨٠٢ . وفي ١١ مارس أودع الحجر احدى غرف جمعية الآثار بلندرة ، وبقي فيها بضعة شهور فحص في أثنائها جماعة من علماء المشرق وعلماء الاغريق ماعليه من النقش ، وفي يوليه أمر رئيس الجمعية بصنع أربعة نماذج من الجبس على مثاله لجامعات أكسفورد وكمبردج وادلبرد ودبلن وطبع نسخا من هذه النقوش وأرسلها الى جامعات أوربا ومكتباتها الشهيرة ومجامعها العلمية . وفي أواخر هذه السنة نقل الحجر من غرفة جمعية الآثار الى المتحف البريطاني حيث نصب وعرض للجمهور لمشاهدته بين بقية التحف الأخرى .

وصف الحجر

ان حجر رشيد كما كشف قطعه عسير منضمه من صخر البازلت يبلغ طوله نحو ثلاثة أقدام وتسع بوصات ، ولا يتجاوز عرضه قدمين وأربع بوصات . أما سمكه فلا يزيد على احدى عشرة بوصة . وليس في الامكان تحديد الجزء الناقص منه تماما ، الا أنه من الهين أن نحكم أنه كان أطول مما هو الآن بنحو اثنتي عشرة بوصة ، ويغلب على الظن أن الطرف العلوي منه كان مقوسا . وواجهة الجزء المقوس كانت محلاة بنقوش تحوي صورة القرص ذي الاجنحة هوروس اله أدفو . وفي أسفل القرص ذي الاجنحة كنت ترى صورة الملك واقفا مع الملكة في حضرة جمع من الآلهة . وليس من الصعب أن تتصور أن هذا الحجر وهو منصوب في المعبد بجانب تمثال الملك الذي صنع تخليداً لذكراه كان من أبرز الآثار وآخذها بالألباب وأكثرها استرعاء للنظر .

أما النقوش على الحجر فقد كانت مرسومة بلغتين مختلفتين المصرية والاغريقية . وكان يعبر عن اللغة المصرية بنوعين من الكتابة : أولهما الهيرغليفي وهو القلم العتيق المستعمل منذ عهد الاسرات الأولى في تدوين كتاب الموتى والمراسيم المختلفة . وثانيهما الديموطيقي اي القلم العامي وهو المحرف عن القلم الهيراطيقي الذي كان مستعملا في نشر الاعمال الأدبية من تأليف وغيره

وقد بطل استعمال الخط الهيرغليفي والديموطيقي عند ما دخلت الديانة النصرانية في البلاد المصرية ، وحلت محلهما حروف الهجاء القبطية المركبة من ألف باء اليونانية ، ومن ستة حروف توافق بعض اصوات مصرية ، وليس في اليونانية ما يعبر به عنها

أما الكتابة الاغريقية المنقوشة على صفحة الحجر فقد كانت عادية ومماثلة لما تحويه المخطوطات اليونانية القديمة . ويلاحظ أن القسم الهيرغليفي على الحجر مكون من أربعة عشر سطراً فقط على حين ان ما يقابله من الاغريقي مكون من ثمانية وعشرين سطرا بينما يتألف الديموطيقي من اثنين وثلاثين سطرا

مجهودات العلماء فى فك رموز حجر رشيد

أثارت النقوش التى على الحجر حركة عنيفة من الترجمة والبحث بين العلماء ، وكان ستيفن وستن اول من وضع ترجمة القسم اليونانى ثم التى هذه الترجمة امام جمعية العاديات بلندرة سنة ١٨١٢ . وقام دوتى بنقل هذا الجزء الى الفرنسية فاذا به شكر وتمجيد مرفوعان من كهنة الاسكندرية الى بطليموس ايفانس Epiphanes

وقام بدراسة الرموز الديموطيقية العالمان الشهيران سلفستردى ساسى و آكربلاد السويدى ، ونجح هذا فى توضيح ما يرادف بالديموطيقية اسماء الاسكندر والاسكندرية وبطليموس واسيس واسماء الاعلام الأخرى ، ورتب حروف هجاء مستعملة فى القلم الديموطيقى مازال العلماء يعولون على معظمها ، واكثرها موافق للصحة والضبط . وقد وجه هذان العالمان اهتماما خاصا بالخانات الملوكية وأوضحا مايقابل ذلك فى الهيرغليفية

وفى سنة ١٨١٨ كتب الدكتور توماس ينج فى دائرة المعارف البريطانية عن نتائج دراسته الشخصية فى فك رموز الحجر ، ونشر جريدة (قائمة) تحوى كثيراً من الحروف والمقاطع الهيرغليفية . ويعتبر الدكتور ينج بحق أول من أدرك فكرة القاعدة الصوتية فى قراءة الهيرغليفية وطبق هذه القاعدة على حله بعض الرموز .

ظلت أبحدية ينج رهن التحول والتغير الى أن ظهر العلامة شامبليون ، وهو من أبرز العلماء فى جمع طلاسم القلم الهيرغليفى اشتغل منذ نشأته بدراسة اللغات الشرقية ، واستوعب بنوع خاص آداب اللغة القبطية من الكتب الدينية والأناشيد الكنسية التى نشرها أقباط مصر أتباع القديس سان مارك بالاسكندرية ، وقد استطاع شامبليون بمعونة اللغة القبطية أن يدرك القيمة الصوتية لكثير من العلامات المقطعية .

وفى سنة ١٨٢٢ نشر جريدة (قائمة) بالحروف والمقاطع الهيرغليفية ، وأصلح بهذا بعض الاخطاء التى وردت فى جريدة ينج ، وقد شفع هذه الجريدة ببيان قواعد النحو عند المصريين الأقدمين فكان شامبليون أول من أدرك أن الهيرغليفى يحوى علامات تدل على أفكار ومعان مستقلة بالفهم يمكن التلفظ بها . وقد ضمن أول نتيجة ظهرت من أعماله فى رسالة بعث بها إلى المسيو داسيه السكرتير الدائم فى جمعية النقوش والآداب ، وطبعت هذه الرسالة وقابلها الناس أولا بشىء من الاستنكار ، ولكنه أزال الشك عند ما نشر كتابه خلاصة قواعد الكتابة الهيرغليفية موضحا فى هذا الكتاب أن الصيغ النحوية فى الهيرغليفية توافق المصطلح عليها فى اللسان القبطى . بهذا المجهود الجبار أصبح من السهل ترجمة الخطوط وقراءتها فلا نكون مبالغين اذا قررنا أن شامبليون هو الذى وقف على كنه أسرار الهيرغليفية وفتح الباب على مصراعيه للباحثين بعده :

ماذا على حجر رشيد ؟

ان المسطر على حجر رشيد هو صورة من القرار الذى اصدره مجلس الكهنة المصريين المجتمعين فى ممفيس للاحتفال باحياء الذكرى الأولى لتتويج بطليموس ايفانس ملك مصر فى ربيع سنة ١٩٦ ق.م. والصورة الاصلية للقرار كانت بالقلم الديموطيقى . أما الهيرغليفى واليونانى فكلاهما مترجم عن هذا الأصل . وتاريخ القرار هو اليوم الرابع من الشهر الاغريقى Xandiko (ابريل) وهو الموافق لليوم الثامن عشر من الشهر القبطى أمشير ، ويتألف هذا القرار من فقرتين تحوى الفقرة الأولى القاب بطليموس الخامس ، وتنوه بما يتحلى به الملك من الورع والتقوى وخشية الآلهة وحبه لمصر والمصريين — أما الفقرة الثانية فهى تعداد للنعم التى اسبغها الملك على البلاد وما أسداه للدين من خدمات . ويمكن تلخيص هذه النعم فيما يأتى :

١ — هبات مالية وعطايا من قمح للمعابد والهياكل — ٢ — حبس أموال على المعابد والاعمال الدينية — ٣ — نقص الضرائب الحكومية الى النصف — ٤ — التنازل عن بعض الديون التى للحكومة على الأهلين — ٥ — اطلاق سراح المسجونين الذين قضوا معظم المدة فى السجون — ٦ — العفو عن العصاة والسماح لهم بالعودة للبلاد والاقامة فيها — ٧ — ضرورة ارسال سرية عسكرية برا وبحرا ضد اعداء البلاد — ٨ — محاصرة بلدة Lycopolis ليكوبوليس وفتحها — ٩ — تجديد هياكل العجل ابيس ومعابده والحيوانات المقدسة الأخرى ووقف أموال عليها .

واعترافاً بهذه المبرات التى أسداها الملك بطليموس الخامس قد قرر المجلس العام للقساوسة تخليد ذكرى الملك والاكثار من إقامة حفلات الذكرى ، وتلخص قراراته فيما يأتى :

١ — صنع تماثيل لبطليموس بوصفه « منقذ مصر » تنصب فى المعابد ليقوم الكهنة والناس بعبادتها .

٢ — صنع صور ذهبية لبطليموس تحفظ فى صناديق ذهبية